

أو بعبارة أخرى : يجب ألا يكون صعودك اضطرارياً ، وألا يكون هبوطك اضطرارياً . . وإنما انطلق على راحتك . . ودون عنف ودون إضرار بالآخرين . . أو إضرار بنفسك أولاً وأخيراً .

وكان من عادة جورجيف أن يروى لتلامذته هذه القصة : اعتاد رجل أن يدخن كثيراً . وأن يمتنع عن التدخين فجأة . وكان الناس يقولون : هذا الرجل ليس له مزاج . فما حاجته إلى التدخين ؟

يقول جورجيف : هذا بالضبط ما يجب أن يكون عليه الإنسان بشرط ألا يسرف على نفسه في التدخين أو في الامتناع عن ذلك . . في الأكل والشرب والعمل والتأمل . . المهم أن تكون عادلاً . . أو معتدلاً . . أو متوازناً . . فالحكمة العظيمة هي الاعتدال . وهي أصعب المعاني والحالات التي شعر بها الإنسان . وعاش ومات دون أن يحققها . .

وهذا الرجل جورجيف يستمد علمه وحكمته من كثير من الصوفيين مثل جلال الدين الرومي . وعلى لسانه تجيء أسماء لبعض الطرق الصوفية الإيرانية . ولكن المهم هو أسلوب هؤلاء الناس في ترويض النفس الحبيسة في قفص الصدر ووراء جدران من الشحم واللحم وأنها من الدماء وعواصف من الرغبات وأشباح من المخاوف . هذا هو الهدف . وهذا الدور المطلوب أيضاً . وبعد ذلك في استطاعة أي إنسان أن يحقق في دنياه ولدنياه ما يشاء . وكل الذين نجحوا في هذه الحياة ، هم أقدر الناس على استخلاص قدراتهم من وحل البدن .

فهل هذا دين جديد ؟ من المؤكد أنه ليس كذلك . وإنما هو دعوة إلى أن تلتفت إلى نفسك قليلاً . فليس من السهل أن يمشي الإنسان مغمض